في مهرجان أبو ظبي السينمائي

"موت للبيع" و"وأيد خشنة" تألّق مغربي لافت.. والعراق يحضر "فيٍ أحضان أمي"

لقطة من فيلم موت للبيع

حضرت السينما المغربية بقوة في دورة المهرجان الخامسة من خلال أسماء مهمة فيها قدمت أفلاما ربما ستدخل حومة الصراع على الجوائز كما توقع عدد من النقاد هنا.. فبعد غياب أكثر من سبعة أعوام وتحديدا منذ إخراج فيلمه المهم (الملائكة لاتحلّق فوق الدار البيضاء) الذي أخرجه عام ٢٠٠٤ ونال فيه عدداً من الجوائز في مهرجانات سينمائية مهمة، يقدم المخرج محمد العسلي فيلمه (أيدٍ خشنة) ، والفيلم الثاني كاًن للمخرج فوزي بن سعيدي حمل عنوان (موت للبيع). أما الفيلم الثالث فكان للمخرج هشام العسيري الذي يحمل عنوان (النهاية) وهو التجربة الروائية الثانية له.

علاء المفرجي

أبو ظبي

ففي أيد خشنة يقدم العسلي مشهدا بانوروميا للمدينة (الدار البيضاء) راصدا ملامحها من خلال رغبات وأحلام مستحيلة وأيضا من خلال علاقات حميمة تحاول أن تمتص حالات الانكسار.. تفاصيل كثيرة يعرضها المخرج تحاول بمجموعها أن تقدم لوحة متكاملة للمدينة ولنموذج من المجتمع المغربي ، السلطة حيث تهرم ، أحلام الهجرة المجهضة، علاقة عاطفية تتشكل بهدوء. حلّاق بشخصية قوية يقحم نفسه في عوالم ليست له لكنه يحاول أن يجد له مكانا فيها، يتنقل مع عازف قانون عجوز في بيوت الوزراء

لقطة من فيلم في احضان امي

والمسؤولين وأصحاب السلطة ليمارس مهنته الحلاقة ، وليمارس معها تمشية معاملات البسطاء لقاء مبالغ مستغلا علاقاته التي توفرها مهنته، ثم المعلمة الشابة التي تلجأ لطرق ملتوية للحصول على طلب الهجرة للالتحاق بخطيبها في إسبانيا. وشخصيات أخرى تدور حول المحور نفسه.. إنه فيلم عن الناس والمكان ، عن الرغبات المستحيلة..

الفيلم الثاني (موت للبيع) يغوص فيه المخرج بن سعيدي في قاع المجتمع المغربي في ميناء تطوان من خلال ثلاثة شبان ترسم حياتهم ظروف اجتماعية بائسة للتتقاطع مصائرهم في النهاية.. وفي لغة سينمائية رائعة يسرد سعيدي طبيعة البؤس والعلاقات الخطرة في وسط يتجلى منه الموت في كل شيء، عصابات منظمة ، المخدرات ، الجنس، ثم الصفقات المريبة. وهي الكليشيهات التي تناولها بن سعيدي في أفلامه السابقة ،ومنها (ألف شهر) و (ما أجمل العالم). وهو يقف أيضا عند حواضن التطرف والإرهاب ويعرضها بطريقة غير تقليدية.

في فيلم (النهاية) يختار العسيري الدار البيضاء أيضا مكانا يقدم من خلاله موضوعه ، ولكن من خلال أجواء قاتمة ولامعقولة تتحرك فيها شخصيات فيلمه هذا.

الأفلام العراقية حضرت هذه المرة من خلال منحة (سند) الذي أطلقه المهرجان العام الماضي، ويقدم منه المخرجان فيلما وثائقيا حمل عنوان (في أحضان أمي).. يتناول الفيلم معاناة شخص في إيجاد مكان يخصصه دارا للأيتام، ومن خلال رحلته لتوفير متطلبات هذا العمل الإنساني يصطدم بصعوبات هي نتيجة طبيعية لبلد استنزفته الحروب والمشاكل على مدى عقود من الزمن..أسهم الأبطال الحقيقيون لهذه القضية في تجسيد تفاصيل موضوع الفيلم، الذي حا ول أن يلقي ضوءا على الآثار السلبية للحروب والنزاعات الأهلية على جيل كامل من الناس، وأيضا إلى لفت الأنظار إلى ظاهرة تزايد عدد الأيتام في العراق.

ضمن عروض المهرجان قدمت أفلام في عرضها العالمي الأول، ومن هذه الأفلام فيلم المخرج مايكل برانت "الدوبلير" الذي قدم ضمن قسم "عروض السينما العالمية" في هذا الفيلم يمنح مايكل برانت سينما الجاسوسية بعض الحبكات الجديدة. عبر قصة القاتل السوفييتي الأسطوري «كاسيوس» الذي يظهر من جديد لتبدأ المخابرات الأمريكية بتعقبه والقبض عليه. إنها لعبة القط والفأر التي لدى الجميع فيها ما يخفيه، وما يخسره أيضاً. كما شهد تقديم فيلمين آخرين في عرض عالمي أول، فضمن "مسابقة الأفلام الوثائقية" قدم فيلم "إل غوستو" (المزاج) إخراج صافيناز بوصبايا الحائز على منحة "سند"أيضا، والذي يأخذنا إلى مدينة «القصبة» في الجزائر ويستعرض النمط الموسيقى «الشعبي» الذي أسسه الراحل الحاج محمد العنقاء والمتزج فيه الميراث الموسيقى الأندلسي والبربري والأناشيد الإسلامية، بما يشكل روح القصبة نفسها والتسامح والتعايش والحب والفرح في جزائر الخمسينيات، وفي الوقت نفسه تسرد حكاية التحولات التي شهدتها الجزائر طوال ما يزيد على نصف قرن.

ويأتي العرض العالمي الأول للفيلم الأمريكي "على شفير الحب" إخراج سام نيف، المشارك في "مسابقة آفاق جديدة"، في لقطتين فقط تمتد كل منهما زهاء ٤٥ دقيقة يقدّم عبرهما الأمريكي سام نيف، مؤلفاً ومخرجا، سرداً أقرب ما يكون إلى الفيديو المنزلي، لمنح الشخصيات بعداً شديد الواقعية، ترتسم من خلاله قصة حبّ ثلاثية محورها ساشا وميا وكايل الذين يختبرون معاً معنى الحبّ والعلاقة، ونهاية الحبّ أو تحوّله إلى شيء آخر.

من البرج العاجي

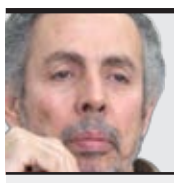

▪ فوزي كريم

ترانسترومر.. على مشارف الوعي

أروع ما في الشاعر السويدي توماس ترانسترومر (مواليد١٩٣١)، الحاجز على جائزة نوبل قبل أيام، أنه كان مُتهماً من أبناء جيله والأجيال التالية بأن ظلّ في منأى عن موجات المواقف السياسية، وموجات الأهواء الأدبية وتياراتها. وأنه، لكي يعزز هذا المنأى ألزم صوته الشعري لغةً بسيطة، تنتفع من الحياة اليومية. ولكن هذا المنحى كان فريداً في محاولة الوثب الرشيق من العالم الواقعي المحيط إلى مجاهل العالم غير المنظور. من عالم الوعي إلى عالم اللاوعي، من المرئي إلى اللامرئي. شعره يراوح على عتبة الشعور:

منتصف الشتاء
ضوءٌ أزرق / يشعُّ من ثيابي.
منتصف شتاء./ دفوفُ ثلج تصلصل./ أُغلق جفني.
ثمة عالم صامت هناك
ثمة ثرثرة
حيث الموتى/ يُهرّبون عبر الحدود.

خلاف بشأن فوزه، ولكنه خلاف معهود لم يصل إلى الخلاف الذي عرفه فوز الشاعر الإيطالي كوازيمودو عام ١٩٥٩، بسبب الحضور المؤثر لشاعر إيطالي آخر من جيله هو مونتالي. في السويد لا أحد يعلو شعرياً على صوت ترانسترومر. ولعل الأمر يتجاوز السويد. فقد حصل الشاعر على تسع جوائز قبل نوبل، وله أكثر من ١٨ ترجمة شعرية في الانكليزية وحدها. واتسعت ترجماته إلى أكثر من ٦٠ لغة عالمية. وبقي ترشيحه لجائزة نوبل قائماً، وهو في بيت مجاور لبيت لجان التحكيم، منذ ١٩٩٣. وعبر كل هذا ظل ترانسترومر أكثر الشعراء العالميين سكينة وانتفاعاً من العزلة. لم ينتسب إلى المناخ الأكاديمي بالرغم من تخصصه في علم النفس، واكتفى بالتدريس في مركز جنايات الأحداث وكتابة الشعر. وعزز منعة الشاعر فيه بالانصراف الرائع للموسيقى، إذ كان عازفاً ماهراً على آلة البيانو، لا مع النفس، بل في الأبهاء العالمية للعزف. ومن فرط تواضعه أنك لو اطلعت على موقعه الشخصي البسيط والفقير، ستجد إعلان فوزه قد ورد بالصورة الآتية: "الشاعران أدونيس وتوماس ترانسترومر المفضلان لنيل جائزة نوبل". لا في الإعلان عن أدونيس حسب، بل في تقديم اسم الشاعر العربي عليه.

المؤسف أن الشاعر الموسيقي، الذي يعتمد اللسان وأصابع اليد في القراءة والعزف، أصيب عام ١٩٩٠ بالجلطة الدماغية التي شلّت لسانه ويده اليمنى. ولكنه واصل الشعر كتابةً، والموسيقى عزفاً باليد اليسرى وحدها.

بعد وفاة
مرّة حدثت صدمةٌ
تركت وراءها ذيلَ مُذنّب طويل واهن الومض.
تطوينا الصدمة داخل أنفسنا. وتجعل مشاهدَ التلفاز
بيضاءَ بفعل الثلج.
وعلى أسلاك التلفون تستقر في قطراتٍ باردة.

مازال أحدنا يملك أن يتزلج بطيئاً تحت شمس الشتاء
عبرأجمة بأوراق متشبثة.
تشبه صفحات منتزعةً من دليل تلفون عتيق
وقد ابتلع أسماءها البرد.

جميلٌ أن تشعر بالقلب وهو ينبض
ولكن الظل في أحيان كثيرة يبدو أكثر واقعاً من الجسد.
الساموراي يبدو لا أهمية له
إلى جانبدرع له من وزن التنين الأسود.

من المسرح الشعري إلى مسرحة الشعر

د. سامي عبد الحميد

منذ أن شهد بلدنا نهضة مسرحية في الستينات والسبعينات من القرن العشرين جرب المخرجون الوانا شتى في اختياراتهم ومعالجاتهم فلم تقتصر عروضهم على موضوعة معينة أو على مدرسة معينة بل كان التنويع والتجديد شاغلهم وكانت مسرحية القصيدة أحد تلك الألوان.

أوائل السبعينات قام الراحل (قاسم محمد) بإعداد مسرحية لقصائد الشعراء الفلسطينيين توفيق زياد ومحمود درويش وعنوانها (أنا ضمير المتكلم) تناول فيها أوضاع الفلسطينيين تحت قهر الاحتلال الإسرائيلي وما آلت إليه الحربان ١٩٥٦ و ١٩٦٧ من خسارات واستلاب الأرض وبالتالي الدعوة إلى المقاومة حتى التحرير. وقام المخرج الراحل مرة أخرى بمسرحة قصائد لشعراء الحرب عن الأوضاع العربية وذلك أواخر السبعينات وقدمت فرقة المسرح الفني الحديث كلا المسرحيتين وعرضت الأولى في مهرجان دمشق للمسرح العربي.

وفي أكاديمية الفنون الجميلة –قسم الفنون المسرحية قام طالب فلسطيني بمسرحة قصيدة محمود درويش (سجّل أنا عربي) وقدمها لمشروع تخرج لدراسة البكالوريوس. وفي المرحلة نفسها أعددت مسرحية عن سيرة الشعار الشعبي العراقي (الملا عبود الكرخي) اعتمدت بالدرجة الأولى على أشعاره ومنها قصيدته المشهورة (المجرشة). وقام مخرجون آخرون بمسرحة قصائد لشعراء آخرين نذكر منهم (غانم حميد) الذي مسرح قصائد للشاعر (عدنان الصائغ) تتعرض لأحوال العراقيين أيام الحرب مع إيران في الثمانينات وصاغ مشاهد مسرحيتين على شكل هذيانات عسكرية عراقي في لحظة إصابته بطلقات نارية في ساحة القتال وتقوده تلك الهذيانات لاستذكار وقائع وأحداث سابقة مرت بحياته مليئة بما هو حلو، وما هو مر ،وما هو مسرّ، وما هو محزن. ولا بد من القول بأن جميع تلك المحاولات التي قصد منها مسرحة الشعر لا تعتمد على أبيات القصيدة وحدها من غير تدخل الإضافات السردية الحوارية التي يبتكرها المعد أو المخرج المسرحي إذ تقتضي مسرحة القصيدة توفير جميع العناصر الدرامية في ذلك العمل. وتلك العناصر في اعتقادي تشمل (١) الشخصيات الايجابية والسلبية الـ (مع) و (الضد)، (٢) الفعل ورد الفعل المكونين للصراع الذي هو جوهر الدراما (٣) الفكرة وتتضمن وجهة نظر الكاتب في القضية الحياتية التي يتناولها. وبالتأكيد فالقصيدة مهما كان نوعها وأسلوبها وبلاغتها تحمل فكرة معينة. ولكي تنفذ شخصيات الدراما أفعالها لا بد لها من استخدام وسيلة وهي: إما الحركة أو الكلام – الحوار وهنا تكمن صعوبة تحويل القصيدة الشعرية إلى مسرحية درامية وهي في الغالب تعتمد السرد والوصف. ولا بد من الإشارة إلى أن الفعل الدرامي يحدث في مكان وزمان معينين والقصيدة الشعرية قد تخلو من العنصرين.

ولا بد أخيراً من أن نتساءل: لماذا مسرحة القصيدة؟ ما هي الضرورات التي تفرض القيام بتحويل القصيدة الشعرية إلى دراما مسرحية؟ مادام هناك صعوبة في تحويل القصيدة إلى دراما وما دام هناك الآن النصوص المسرحية الشعرية والنثرية الموجودة على رفوف المكتبات وما دام هناك الآلاف من كتّاب المسرحية في بلادنا وفي البلاد الأخرى يقدمون يوميا نصوصا وصفية مبتكرة. فما الذي يدعو البعض إلى مسرحة القصيدة؟ وما دام للقصيدة قيمتها الفكرية والفنية والجمالية فما الداعي لتحويلها إلى دراما وما دام هناك عناصر درامية في عدد من القصائد الشعرية فما الداعي إلى تحويلها إلى مسرحية؟ ليس هناك إلا جواب واحد لكل تلك الأسئلة ألا وهو التطلع إلى التجديد والوصول إلى اللامألوف.

الــولـــيـــمـــة

فراس عبد المجيد

كلّ صباحْ
في أنفاس السَحَر الأولى
عندَ بزوغ الفجرْ

ونعاسُ النجمة
يغزل من خيَط الشمسِ
وشاحَ التبْرْ

ينشرهُ، هفهافاً،
فوق تخوم البحرْ

أنهضُ من قبري،
أنفض عن هيكلي العظميِّ
عناءَ الصبرْ.

كلّ صباح أنهضُ،
أحملُ جمًجمتي بيدي،
أنفضُ عن بِسمة فكيها
كلّ رماد الدهرْ.

كلّ صباحْ
أحملُ جمجمتي،
أغمرُها بنديف الثلجِ
وأطعمُها فاكهةَ الجمرْ،

أمسحُ عن عظم الوجنةِ
خيط دم
يبقىً ينزفُ
حتى بعدَ صلاة الظهرْ.

كلّ مساءْ
عند تكاسل شمس العصرْ،

أحملُ جمجمتي،
أمسحُ عن تجويف العين
ظلامَ الدهشةِ،

وأعرّضها لنشيجِ الريحْ.

في سَكرات الشفق الخجلى
والأفقُ جريحْ

أرفعُ جمجمتي،
أمحو عن جبهتها
ما لازَمها
من وحْل العمرْ

كل غروب
بعد أفولَ الشمس أصيحْ:

" مدّوا فوق العشب موائدَكمْ..
فالليلةَ يأتي الغيّابُ،
وتنضجُ في النخل
عذوقُ التمَرْ"

وعلى طقطقة الأطباقِ،
ووهج النارِ،
وعزفَ الريحْ..

أحمل جمجمتي،
أحضنها،
أتدثر معها في ظلمات القبرْ.

كلّ صباحْ
أرفعُ، مع صيحات الديك،
غطاءَ القبرْ

فأرى مائدتي ماثلةً..
لم يأكلْ منها أحدٌ.
....
ما عاد الغيّابُ،
وما نضج التمرْ

لكنْ
في ذات صباحْ..

في أنفاس السَحَر الأولى
عند بزوغ الفجرْ،

رحتُ أفتش، عبَثاً،
عن جمجمتي

بين زوايا القبرْ.

..ضاعتْ جمجمتي

" هل بعثرها العصف رماداً
فوق البحرْ؟
هل ذابت كالشمعة،
فالتبس الأَمرْ؟

ساءلتُ الفجرَ
البحرَ
الجمرَ
الريحْ
لم ألقَ جواباً أو تصريحْ

فرجعت الى قبري
أتعثر بالخيبة والقهرْ.

ما أخبرني أحدٌ
أن وليمة هذا العصرْ
ليست مثل ولائم مرّتْ.
كانت هذي المرة حاشدةً
بأناسٍ من كل الأرجاءِ
بمختلف الأزياءِ
بمختلف الألوانّ:
بيض،
سوًد،
صًفر،
شًقر،
سمرْ

ينقضّون على مائدة
من أشلاء الوطن المذًبوحِ
بنصل الحقد
وسيفِ الغدرْ

× ألقيت في الحفل التأبيني الذي أقامته السفارة العراقية في الرباط بمناسبة أربعينية شهداء الأربعاء الأسود.